دور السنة النبوية في التعامل مع المخدِّرات: «الوقاية والعلاج»

بحث مقدّم للمؤتمر العلمي الوطني
(دور المؤسسات التعليميّة في مكافحة المخدِّرات)
٢٠٢٥/١١/٢٧م

بحث مقدّم من الباحث

م.م. إبراهيم نجم عبد الرحمن

Ibrahim Najm Abdulrahman

ibrahim.n.abdulrahman@aliraqia.edu.iq

م.م. قتيبة محمد عبيد

Qutaiba Mohammed Ubaid

qutaib.m.obaid@aliraqia.edu.iq

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 1 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 41
ISSN: 2225-9732

December 2025

ملخَّص البحث

يتناول هذا البحثُ قضيَّة من أخطر القضايا التي تهدّد كيان المجتمعات المعاصرة، وهي آفةُ المخدّرات بما تمثّله من خطرٍ شامل على الأمن الإنساني والاجتماعي. وينطلق البحثُ من هدفٍ علميٍّ دقيق يتمثّل في استكشاف الدّور التّوجيهيّ والعلاجيّ للسُّنّة النبويّة في الوقاية من تعاطي المخدّرات ومعالجة المتعاطين، وذلك عبر منهجٍ استقرائيٍّ حديثيٍّ تحليليٍّ يتتبّع النصوص النبوية ذات الصلة، ويحلّل دلالاتها الوقائية والتربوية والعلاجية.

وقد توصّل البحثُ إلى أنّ الوقاية في الهدي النّبويّ تسبق العلاجَ وتتفوّق عليه أثرًا وفاعليةً، وأنّ التّحريم القطعيّ للمسكِرات والمُفترات يمثّل قاعدةً شرعيةً راسخةً في حفظ العقل وصيانة الفطرة. كما بيّنت النتائج أنّ السُّنّة النبوية أرست منظومةً وقائيةً متكاملة تقوم على ثلاث ركائز كبرى: التّحصين الإيمانيّ والتّربويّ، وبناء البيئة الاجتماعية الصّالحة، وسدّ ذرائع الفساد بالتجريم والتحريم.

أمّا في جانب العلاج، فقد كشفت الدّراسة عن الأسس النبويّة في التعامل مع متعاطي المخدّرات، والمبنية على الستر والنّصح دون تشهير، والتدرّج والرفق في الإصلاح، والتكامل بين العلاج الروحي والنفسي والطّبيّ.

وخَلُص البحثُ إلى أنّ المنهج النبويّ في مكافحة المخدّرات يقوم على توازنٍ راسخ بين الإيمان والعلم الحديث، ويزاوج بين الرحمة في المعالجة والحزم في المواجهة، مُقدِّمًا رؤيةً شموليةً متكاملةً للوقاية والعلاج.

الكلمات المفتاحيّة: السّنّة النبويّة، المخدِّرات، الوقاية، العلاج.

Abstract:

This study addresses one of the most serious issues threatening the foundations of contemporary societies — the scourge of narcotic drugs and their far-reaching impact on human and social security. The research aims to explore the guiding and therapeutic role of the Prophetic Sunnah in preventing drug abuse and rehabilitating addicts. It adopts an inductive, hadith-based analytical methodology that traces relevant Prophetic traditions and examines their preventive, educational, and therapeutic implications.

The findings reveal that prevention in the Prophetic approach precedes treatment and surpasses it in both impact and effectiveness. The categorical prohibition of intoxicants and stupefying substances constitutes a well-established Sharīʿah principle aimed at preserving intellect and safeguarding human nature. Furthermore, the study demonstrates that the Prophetic Sunnah has established a comprehensive preventive framework built upon three major pillars: faith-based and moral fortification, the construction of a virtuous social environment, and the blocking of corruption through criminalization and prohibition.

On the therapeutic side, the research highlights the Prophetic foundations for dealing with drug users—emphasizing discretion and sincere counsel over public exposure, gradual and compassionate reform, and the integration of spiritual, psychological, and medical treatment.

In conclusion, the study finds that the Prophetic methodology in combating narcotics rests upon a balanced synthesis between faith and modern science, combining mercy in rehabilitation with firmness in enforcement, thereby offering a holistic and integrated vision for both prevention and treatment.

keywords: Prophetic Sunnah; Narcotic Drugs; Prevention; Treatment.

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 1 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 41
ISSN: 2225-9732

December 2025

المقدِّمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صلَّى الله عليه وعلى آله الطيِّبين الطّاهرين، وأصحابه الصّالحين الْمُصْلِحِين، والتَّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وبعدُ؛ فإنّ من أعظم ما ابتُليت به المجتمعات الإنسانيّة في عصرنا الحديث آفةُ المخدِّرات، تلك الظاهرة التي تجاوزت كونها مجرّد مشكلة صحيّة، لتغدو أزمةً شاملة تهدّد الأمن، وتُقوّض الاقتصاد، وتُفتّت الأسر، وتُدمّر الإنسان في عقله وماله ودينه. وتشير تقارير المنظمات الدّوليّة إلى أرقام مُفزعة في حجم انتشار هذه الآفة؛ فقد قُدّر عدد المتعاطين حول العالم بثلاثمئة مليون متعاطي[1]، فضلًا عمّا تخلّفه من ضحايا ومآسٍ اجتماعيّة متنامية، وفي جمهوريّة العراق التقارير الرّسميّة والميدانيّة تُشير -بكلِّ أسفٍ- إلى تزايدٍ ملحوظٍ في نسب تعاطي المخدِّرات، ولا سيّما بين فئة الشّباب[2]، الأمرُ الذي يقتضي وقفةً جادّةً تتكامل فيها جهودُ الدّولة، والمؤسّساتُ العلميّةُ، والطّبيّةُ، والاجتماعيّةُ؛ لتنهض كلٌّ منها بمسؤوليتها في مواجهة هذه الآفة الخطيرة.

(١) حيث بلغت إحصائية مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة لسنة ٢٠٢٢م في أنّ عدد الأشخاص الذين استخدموا المخدرات خلال هذه السنة حوالي ٢٩٢ مليون شخص. قلت: لم أجد إحصائيات سنة ٢٠٢٣ ولا سنة ٢٠٢٤م.

UNODC World Drug Report 2024: Harms of world drug problem continue to mount amid expansions in drug use and markets.

(٢) ينظر ما جاء في التقرير الخاص بالعراق لمكتب الأمم المتحدة بعنوان: «الاتجار بالمخدّرات في العراق والشرق الأوسط (٢٠١٩–٢٠٢٣م) وقد تضمّن ٢٢ صفحة. وقد وردت فيه أنّ نسبة ضبط الكبتاغون قد ارتفعت (٣٣٨٠٪) بين عامي ٢٠١٩ و٢٠٢٣. ففي عام ٢٠٢٣ وحده، تم ضبط أكثر من ٤ر١ طن من أقراص الكبتاغون. وقد تضاعف عدد المسجلين لعلاج اضطرابات تعاطي المخدرات في العراق من ٢,٩٧٩ شخصًا (٢٠١٧) إلى ٦,١٠١ (٢٠٢١).

Drug Trafficking Dynamics Across Iraq and the Middle East (2019 – 2023): Trends and Responses
https://www.unodc.org/romena/uploads/documents/2024/UN_Iraq_ExSum_240318.pdf?utm_source=chatgpt.com

ويأتي هذا البحث ضمن هذه الجهود الكريمة، مستمدًّا رؤيته من هدي السُّنّة النبويّة الشريفة في الوقاية والعلاج، وأسميت هذا البحث: «دور السُّنة النّبوية في التّعامل مع المخدِّرات: الوقاية والعلاج».

إشكالية البحث:

بالرغم من كثرة الدِّراسات الحديثة حول المخدّرات من المنظور الطبّي والاجتماعي، فإنّ الدّور التّوجيهيّ والعلاجيّ للسُّنّة النبويّة في الوقاية من التعاطي ومعالجة المتعاطين لم يُبحث بعمق وفق منهجٍ استقرائيٍّ حديثيٍّ تحليليٍّ.

ومن هنا تبرز الإشكاليّة في كيفية إسهام السُّنّة النبويّة في بناء منظومةٍ متكاملةٍ للوقاية والعلاج من آفة المخدّرات، نصًّا وواقعًا، منهجًا وتطبيقًا.

أهميّة البحث:

تنبع أهميّة هذا البحث من عدّة اعتباراتٍ علميّةٍ وواقعيّة، من أبرزها:

١. يتناول هذا البحث قضيّةً إنسانيّةً معاصرةً تمسّ صميم الأمن الأخلاقيّ والاجتماعيّ للمجتمعات الإسلاميّة، وهي آفة المخدّرات التي تفتك بالعقول وتُهدّد مقاصد الشريعة الخمسة.

٢. يُسلّط الضوء على البُعد النّبويّ الوقائيّ والعلاجيّ في إصلاح الانحرافات السلوكية، وهو بُعدٌ لم يُستثمر بالقدر الكافي في الدّراسات الحديثة.

٣. يسعى هذا البحث إلى سدّ ثغرةٍ معرفيّةٍ في ميدان البحوث الشرعيّة والاجتماعيّة، ببيان كيف أسّست السنّة النبويّة لمفاهيم التّحصين النّفسيّ والاجتماعيّ

٤. يُفيد العاملين في مجالات الدّعوة والإرشاد والعلاج السّلوكيّ في بناء خطابٍ تربويٍّ شرعيٍّ يعالج ظاهرة المخدّرات معالجةً علميّةً متوازنة.

٥. يُعزّز التّكامل بين الجهود الشرعيّة والطبيّة والاجتماعيّة في مكافحة هذه الآفة، في ضوء الرؤيّة الإسلاميّة الشّاملة.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملةٍ من المقاصد العلميّة والعمليّة، من أبرزها:

١. استقراء الأحاديث النبويّة الصّحيحة -قدر الاستطاعة- التي تتعلّق بكلّ ما يُذهب العقل أو يُفسد الفطرة، كالمسكرات والمخدرات والمفترات، وتحليل دلالاتها الوقائية والعلاجية.

٢. تحليل الأحاديث النبوية في التعامل مع ظاهرة المخدّرات، واستنباط مقاصدها الإصلاحية.

٣. بيان منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الوقاية من الانحرافات عبر التربية الإيمانية وغرس تعظيم العقل والفطرة.

٤. استخلاص الأُسس العلاجية النبوية التي تقوم على التوبة والإصلاح والرعاية الاجتماعية والنفسية.

الدِّراسات السّابقة

بفضل الله جلّ وعزّ، ثم بفضل الجهود المتضافرة من المؤسسات الرسميّة والباحثين والمهتمّين نرى في السّنوات الأخيرة تناميًا ملحوظًا في حجم الاهتمام بهذا الموضوع، سواء من النّاحية البحثيّة أو التطبيقيّة، وقد كان لِوزارة التعليم العالي والبحث العلمي في العراق دورٌ واضحٌ في دعم هذا الاتجاه الكريم وتشجيع البحوث المتخصّصة التي تتناول القضايا المجتمعيّة الحسّاسة والضروريّة بمقاربات علميّة رصينة تسهم في خدمة المجتمع، وحماية أفراده، وتعزيز وعيهم بالمخاطر السلوكيّة المعاصرة.

فقد شهد منتصف عام ٢٠٢٥م صدور نحو (١١٠) بحثًا علميًّا منشورًا في المجلات العراقية الأكاديميّة المتخصصة عن مكافحة المخدِّرات، والعدد سيفوق الـ (٢٠٠) بحثًا بنهاية هذا العام، بينما بلغت البحوث في سنة ٢٠٢٤م (١٠٨) بحثًا، وفي سنة ٢٠٢٣م (٤٥) بحثًا؛ ممّا يعكس اتجاهًا تصاعديًّا واضحًا ومؤشرًا إيجابيًّا حيويًّا.

ومن الدِّراسات التي اطَّلعت عليها وأفدتُ من بعضها:

١- التكييف الفقهي والقانوني لتعاطي المخدِّرات والاتّجار بها

د. خالد ضو

نشر في مجلة المفكِّر للدِّراسات القانونية والسياسية، سنة ٢٠٢٠م، وتضمّن ٢٠ صفحة، وهو بحث قيِّمٌ.

٢- المخدِّرات والمؤثِّرات العقليّة دراسة فقهية تحليلية

إعداد: م.د. ضياء عبد اللطيف المرعي

نشر في مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، سنة ٢٠٢٥م، وتضمن ٣٧ صفحة، وهو بحث مفيدٌ قيِّمٌ أفدتُ منه، وقد تناول فيه عدّة محاورٍ مهمة؛ منها: أنواع المخدِّرات وأقوال العلماء فيها، والحكمة من تحريم المخدِّرات وبيان الأضرار الصحية والنفسية.

٣- ستراتيجيّة وطنيّة لمكافحة المخدِّرات في العراق
د. خالد حنتوش ساجت
نشر في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، سنة ٢٠٢٥م، وتضمّن ٣٠ صفحة، وهو بحثٌ قيِّمٌ اطّلعت عليه وأفدتُ منه، وقد ضمّنه إحصائيات وجداول توضيحيّة مفيدة، والدكتور خالد حنتوش أحد أعضاء الفريق الوطني لدراسة المخدِّرات كما ذكر ذلك في بحثه.
٤- التفوق الوهمي الخادع لدى تجار المخدِّرات وضباط الأجهزة الأمنيّة
فراس نعمة مهدي؛ أ.م.د. حيدر طارق كاظم البزون
نشر في مجلة العلوم الإنسانية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية، سنة ٢٠٢٥م، في ٢٤ صفحة.
٥- عوامل وأسباب تعاطي المخدِّرات وآثاره الاجتماعية دراسة ميدانية في مدينة بغداد
أحمد فليح حسين؛ إشراف: أ.م.د. بانياس عدنان جلوب
بحث نشر في مجلة كلية التربية للبنات بالجامعة العراقية سنة ٢٠٢٥م، في ١٨ صفحة.
٦- دور التفكير الإيجابي في تعزيز الوقاية المستدامة من تعاطي المخدرات مقاربة نفسية لتنمية الوعي والتكيف الصحي
إعداد: سامية رحال؛ وجميلة بن عمور
نشر في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، سنة ٢٠٢٥م، في ١٧ صفحة.
٧- آفة المخدِّرات قراءة في الأسباب والنتائج
م.م. علي فليح علي الفتلاوي
نشر في المؤتمر العلمي التخصصي الأول في سنة ٢٠٢٥م بجامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، وتضمّن ١٧ صفحة.

المطلب الأول: المخدِّرات لغةً واصطلاحًا

المخدِّرات لغة: اسم فاعل من خَدَرَ، ومصدره التّخدير، ولها عدّة معانٍ في اللغة: الفتورُ، والسّتر، والاسترخاء، وظُلمة الليل[١].

(١) يُنظر لسان العرب لابن منظور مادة: خَدَرَ ٤/٢٣٠، والمعجم الوسيط ١/٢٢٠.

المخدِّرات في الاصطلاح الصحي المعاصر عرَّفتهُ منظمة الصحّة العالميّة(١) بأنّها: «المواد/ الأدوية ذات التأثير النّفسيّ والجسديّ، التي تؤثّر في الجهاز العصبيّ المركزيّ وتُحدِث تغيّراتٍ في المزاج أو الوعي أو السّلوك، وقد تُسبِّب اعتمادًا وإدمانًا، سواء كانت مشروعةً لبعض الحالات المرضيّة (مثل بعض الأدوية) أو غير مشروعة.

وجاء تعريف المخدِّرات في موسوعة الفقه الإسلامي(٢): «مواد نباتية أو كيماوية تؤثر على العقل والبدن، وتصيب الجسم بالفتور والخمول، وتشل نشاطه، وتغطي عقل الإنسان كالخمر».

وعرَّفها الأستاذ أحمد مختار بأنّها: مادّة تسبِّب فقدان الوعي بدرجات متفاوتة، كالحشيش والأفيون، وتحدث فتورًا وارتخاء في الجسم وضعفًا في الإحساس وخمولاً في الذِّهن(٣).

ويتلخّص لنا من هذه التعاريف أنّ المخدِّرات هي: كلُّ مادةٍ إدمانيّة تُغيِّر حالةَ الوعي الطّبيعيّ وتُضعف الإدراك أو تُذهبه، سواء كانت مأكولةً أو مشروبةً أو مستنشقةً أو محقونةً.

المطلب الثاني: دور السُّنة في الوقاية من المخدِّرات

من أعظم ما جاءت به السُّنّة النبويّة في الوقاية من هذه الآفة الخطيرة أنّها سبقت إلى منع وقوع الإصابة قبل حدوثها، فاهتمّت بدرء أسباب الانحراف قبل أن تُعنى بأساليب العلاج والتقويم. فنهجها في الإصلاح قائمٌ على التّحصين قبل التّصحيح، وعلى الوقاية قبل العلاج، إذ أدركت أنّ الوقاية السليمة خيرٌ من علاجٍ متأخّر، وأنّ حفظ الفطرة والعقل مقدَّمٌ على معالجة فسادِهما بعد الانحراف.

ومن أبرز السبل الوقائيّة التي أرستها السنّة في هذا المجال:

١- التحريم القطعي للمخدِّرات وسدّ ذرائعها

نهى الرّسول صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومُفْتِرٍ؛ فحرّم المخدّرات بنصٍّ شامل؛ حيث أطلق لفظ الخمر على كلّ ما يُغطّي العقل ويغيّبه، فقال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»(٤) ولم يرخّص في قليلها بل جعل صلى الله عليه وسلم القاعدة الشرعيّة

(1) https://www.who.int/health-topics/drugs-psychoactive?utm_source=chatgpt.com#tab=tab_1

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي لمحمد التويجيري ٤/٣٢٣.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار ١/٦١٨.

(٤) صحيح مسلم (٢٠٠٣).

فيه أنّه: «ما أسكر كثيرُه فقليلُه حرامٌ»(١). وهذه قاعدة بالغة الحكمة في الوقاية، فإنّ أُولَى مراحل الإدمان التّجريب ثم ينتهي الحال بالمجرِّب إلى التورّط؛ فكم من مدمن بدأ «بتجربة» كميّة صغيرة بدعوى أنّها لن تضرّه، فإذا به ينحدر تدريجيًا للإدمان المُهلك. ومراحل الإدمان كما يعرِّفها المختصّون؛ هي: التجربة أو الاستخدام، ثم التِّكرار، ثم الاعتماد الجزئي، ثم الاعتماد الكلي المزمن(٢).

فهذا المنع القاطع يرسخ مبدأ «الوقاية خير من العلاج» بأوضح صوره.

٢- تحريم المتاجرة والتداول بالمخدِّرات

وقياسًا على ما تقدّم في أنّ «كلّ مسكرٍ خمرٌ» حرّم النبيّ صلى الله عليه وسلم صنع المخدّرات وبيعها وتداولها بأي صورة كانت. فكما لعن في الخمر عشرة أصناف لتورُّطهم فيها، فكذلك يُقاس على كل من يزرع المخدرات أو يصنّعها أو يتاجر بها أو يروّجها بأنّه داخل في اللّعنة النّبويّة. جاء في الحديث الصّحيح: «إِنَّ اللّهَ عز وجل لَعَنَ الْخَمْرَ، وَعَاصِرَهَا (أي الذي يصنعها)، وَمُعْتَصِرَهَا (من يطلب صنعها له)، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَمُسْتَقِيَهَا»(٣).

كما قرر النّبيّ صلى الله عليه وسلم قاعدة: «وَإِنَّ اللّهَ عز وجل إِذَا حَرَّمَ أَكْلَ شَيْءٍ، حَرَّمَ ثَمَنَهُ»(٤).

هذا الحديث العظيم يحيط بكل من يتعامل مع الخمر بسياج من اللّعن (الطّرد من رحمة الله)، ومثله المخدِّرات بالمعنى العام الذي قرّره صلى الله عليه وسلم. فلا يقتصر التّحريم على الشّارب (المتعاطي) وحده، بل يشمل جميع المشاركين في هذه الجريمة الاجتماعية: الصّانع والمنتج، التّاجر سواء بائع أو مشترٍ، النّاقل أو المروِّج (حاملها والمحمولة إليه)، حتى الجليس الذي يطلب من يسقيه (ومُسْتَقيها) وهذا اتساق تام مع مقصد الوقاية؛ لأنّ القضاء على المخدّرات يستلزم تجفيف منابعها التّجارية والاجتماعيّة.

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٠٣)، وأبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٦٥)، وابن ماجة (٣٣٩٣). قال ابن حجر: «رجاله ثقات». التلخيص الحبير ٤/ ٢٠١.

(٢) ينظر مقالة بعنوان: «ما هي المراحل الجسدية والعقلية للإدمان؟» نشرتها الجمعية الأمريكية للإدمان.
https://americanaddictioncenters.org/the-addiction-cycle/stages-of-addiction?utm_source=chatgpt.com.

(٣) مسند أحمد (٢٨٩٧) بإسنادٍ حسن، وسنن أبي داود (٣٣٨٠).

(٤) مسند أحمد (٢٦٧٨) بإسنادٍ صحيح.

كما نهت السنة عن الجلوس في الأماكن التي تُتعاطى فيها المسكرات. قال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَقْعُدْ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ»(١).

٣- التربية الإيمانيّة وتنمية الوازع الدّاخلي وترسيخ القيم

إنّ التّحريم والتّنفير من كل ما يُفسد العقل ويسكره ويخدِّره في النّصوص الشرعيّة يهدفان في النّهاية إلى تشكيل قناعة داخلية لدى المسلم بخطورة وشناعة هذا الفعل عند الله تعالى لما يجرّه من مآسٍ مهلكة للفرد وللمجتمع، وهذه النصوص تُربِّي المسلم على الامتناع والابتعاد عن هذه المهلكات، وتجعل وازع هذا الامتناع داخلي قبل أن يأتي من الخارج؛ وقد قيل: القانون يضبط الظّاهر، لكنّ الضمير الحيّ الممتلئ بالإيمان يضبط الباطن والظّاهر، إنّ أعظم سورٍ يحمي الإنسان من الإدمان هو إيمانه بالله تعالى، وإحساسه بمراقبته، وخوفه من أن يحاسبُه ربُّه سبحانه، أو أن يُفسد نفسه التي هي أمانةٌ بين يديه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديثٍ صحيحٍ عظيمٍ جامعٍ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»(٢) وهذا الحديث يشير إلى أنّ هذه المضغة قابلة للإصلاح والتربية ومن هنا تبدأ الوقاية بالعمل على التربية وصلاح القلب، لا بكثرة المواعظ وحدها.

- ومن الوصايا النّبويّة في التّربية الوقائيّة وتعزيز المراقبة

«اتَّقِ اللهَ حَيْثُما كُنْتَ»(٣).

- ومن الوصايا الوقائية في الحثِّ على ملئ الفراغ بالنّافع والمفيد

«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»(٤).

- ومن الأحاديث النّبويّة الوقائيّة في المحاسبة العبد

«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»(٥).

(١) مسند أحمد (١٤٦٥١) وهو حديثٌ حسنٌ.
(٢) متفق عليه. واللفظ للبخاري (٥٢).
(٣) جامع الترمذي (٢١٠٢).
(٤) صحيح البخاري (٦٤١٢).
(٥) جامع الترمذي (٢٤١٧) وإسناده حسن.

٤- إيجاد البيئة الاجتماعيّة الطّيبة والتحذير من رفقة السّوء.

النبي صلى الله عليه وسلم لم يربِّ أصحابَه في بيئةٍ فرديّةً منعزلة، بل أنشأهم جماعةً متآلفة، يتناصحون ويتعاونون، يذكّر بعضهم بعضًا، ويشدّ القويّ منهم عضُد الضّعيف، وفي القرآن آيات كثيرة في الحثّ على التواصي بالجماعة الصّالحة والعمل معهم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣] والآيات في ذلك كثيرة.

وقد أكّدت السنة هذا المعنى وبيّنت خطورة الصّحبة السيئة؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»(١).

وضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا بليغًا لتأثير الجليس في الصّلاح أو الإفساد؛ فقال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»(٢).

والأحاديث النّبويّة في هذا المعنى كثيرة، تشير إلى أثر البيئة والصّحبة في بناء الإنسان أو هدمه، ومن هنا كانت الصُّحبة الصّالحة والبيئة الطّيبة من أهم وسائل الوقاية التي تعصم الشخص من الوقوع في شِراك المخدِّرات وسائر المهلكات.

المطلب الثّالث: دور السنة النبوية في علاج متعاطي المخدِّرات

مهما بلغت صرامة الإجراءات الوقائيّة، يبقى في واقع الحياة احتمال سقوط بعض الأفراد في مستنقع المخدرات بسبب ضعف النّفس، أو إغواء الشيطان، أو ظروف قاهرة؛ ولهذا لم تغفل السنّة النّبويّة بيان كيفيّة التّعامل مع متعاطي المخدّرات من منظور شرعيّ رحيم وحكيم، يوازن بين واجب صيانة المجتمع وردع الجريمة، وبين واجب إنقاذ العاصي وإرجاعه إلى جادّة الصّواب. ويمكن إبراز أهم الأساليب العلاجيّة النّبويّة فيما يلي:

(١) مسند أحمد (٨٤١٧) واللفظ له. وسنن أبي داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٥٣٥).
(٢) صحيح مسلم (٢٦٢٨).

١- فتح باب الأمل لمتعاطي المخدِّرات بالتوبة والرّجوع وعدم اليأس

أولُ مبدأٍ يؤكّده المنهجُ النّبويّ في التّعامل مع المدمنين وغيرهم هو فتحُ باب التوبة، ونبذ اليأس من رحمة الله «كُلُّ ابنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وخيرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(١) فالخطأُ واردٌ في طبيعة الإنسان، ولكنّ الخطرَ الحقيقيّ أن ينغمس الإنسان في الذّنب مرّات ومرّات ولا يعود فيقوِّم هذا الخطأ، أو أن يستسلم للذّنب ويقنط من المغفرة، ومن رحمة الله، وفي هذا المعنى وردت الإشارة النبويّة إلى عدم اليأس من تكرار التوبة مهما تكرّر الذنب قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ عز وجل لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا».

وفي الحديثِ الشريفِ أيضًا ما يفتحُ بابَ الأملِ واسعًا أمامَ كلِّ من أذنبَ أو قصَّر قوله صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - أَوْ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ - لَوْ خَطِئْتُمْ حَتَّى تَمْلَأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللهَ، لَغَفَرَ لَكُمْ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ - أَوْ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - لَوْ لَمْ تُخْطِئُوا، لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(٢). والأحاديث في هذا المعنى كثيرةٌ مستفيضةٌ، وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

٢- السّتر والنّصح وعدم التّشهير بمن ابتلاه الله عز وجل

الأصل في التّعامل الإسلاميّ مع مرتكبي الأخطاء والمعاصي -ما لم يجاهروا ويتفاخروا بها- هو السّتر والنّصح سرًّا، لا الفضيحة والتّشهير. لأنّ ستر المسلم والصّبر على خطئه يكون أدعى وأقرب لقبول النّصح والإقبال على التّوبة والإصلاح، أمّا الفضيحة والتّشهير فإنهما يدفعان المبتلى إلى العناد واليأس بدل التوبة والرّجوع، وضرر ذلك على الفرد والمجتمع كبير، وإنّ كثيرًا ممن ابتُلي بالمخدِّرات يتعاطاها خِفيَةً وهو يكره انكشافه، لذلك يتعين على الأسرة أو الأصدقاء إذا اكتشفوا أمر متعاطٍ قريبٍ لهم ألا يُسارعوا بفضحه وإشاعة أمره للنّاس، بل يسترون عليه ويسعون في مساعدته لترك المخدرات سرًّا عبر إقناعه بالعلاج الصّحيح الطبيّ والعلميّ.

وقد قال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(٣).

(١) مسند أحمد (٢٦٦٧). حديثٌ حسن.
(٢) مسند أحمد (١٣٤٩٣) حديث صحيح.
(٣) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

وفي التّطبيق المعاصر نجد أهميّة هذا المبدأ في قوانين العيادات الطّبية والمراكز التأهيلية؛ حيث يلزم قانونًا عدم إفشاء أسرار المرضى المدمنين، بل الواجب أن يُمكَّنوا من العلاج بسريّة تحفظ سمعتهم ووظائفهم وعلاقاتهم. وهذا يتّفق مع التشريع الإسلاميّ في الستر، الذي يشجِّع المدمن على طلب العلاج طوعًا دون خوف من الملاحقة أو الفضيحة.

٣- الرحمة والرّفق والتدرّج بحال المدمن أو المتعاطي

إنَّ من أبرز سمات المنهج النّبويّ في معالجة الانحرافات ومنها السّلوكيّة أنّه قائم على الرّحمة والرِّفق والتّدرّج في الإصلاح، لا على العنف أو الإقصاء؛ فالرّسول صلى الله عليه وسلم كان يدرك طبيعة النّفس البشريّة، وما يعتريها من ضعفٍ وتقلّبٍ، وقد تجلّت هذه الرّحمة في مواقفه صلى الله عليه وسلم مع من ابتُلوا بالذنوب أو العادات السيئة، كما في قصّة الرّجل الذي كان يُؤتى به مرارًا في شُرب الخمر، فلمّا لعنه بعض الصّحابة قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إلا إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»(١).

وكذلك أسس المنهج النبويّ قاعدة أصيلة في الإصلاح والتربية وهو تقديم التيسير والتبشير على التعسير والتنفير؛ فقال صلى الله عليه وسلّم: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا في معنى التّيسير وعدم التّعسير والتّنفير: «إنما بُعِثتُم مُيَسِّرينَ، ولم تُبعَثوا مُعَسِّرينَ»(٣).

فهذه النّصوص تؤصّل منهجًا رفيقًا متدرّجًا في الدّعوة والإصلاح، خاصة مع من غلبت عليه الشّهوة أو الضّعف أو الإدمان؛ فإنّ الغريق المبتلى لا ينتظر من يُحدِّثه عن أضرار الغرق، بل يحتاج إلى من يمدّ له اليد لينقذه ويعينه على النجاة، فكذلك التعامل مع من ابتليَ بالإدمان لا يكون بالعنف، بل باحتوائه، وتعليمه، وبعث الأمل في نفسه، كما قال صلى الله عليه وسلم: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا».

(١) صحيح البخاري (٦٣٩٨).
(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري (٧٠).
(٣) سنن أبي داود (٣٨٠) والترمذي (١٤٧).

٤- الاهتمام بالعلاج الطّبيّ والجسديّ

لم تغفل السّنة النّبويّة جانب التّداوي الطبّيّ، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ عزّ وجلّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً إِلَّا الْمَوْتَ وَالْهَرَمَ»(١). والإدمان مرض معقّد يحتاج أحيانًا لأدوية معينة، أو برامج صحيّة خاصّة لإخراج السّموم وإصلاح ما تلف من البدن. فالمنهج النبويّ يحثُّ على التّطبُّبِ وأخذ المشورة من أهل الاختصاص.

ولهذا فإنّ اعتماد الأساليب العلميّة الحديثة في معالجة الإدمان من التحاليل الطبية الدقيقة، والعلاج النفسي والسلوكي، وإعادة التأهيل في المصحّات المتخصصة كلّها داخلةٌ في مدلول الأمر النبويّ بالتّداوي، لأنها من تمام الامتثال للحديث الشّريف: «تداووا عبادَ الله...».

ومن هنا يظهر التّكامل في التوجيه النّبويّ بين الإيمان والطّبّ، بين الرّوح والمادة، فالإدمان -وإن كان انحرافًا سلوكيًا- هو أيضًا داءٌ عضويٌّ ونفسيّ يحتاج إلى معالجة متكاملة تجمع بين التّوبة وتعزيز الإيمان والعلاج الطبيّ والوقاية السّلوكيّة.

نتائج البحث

١. التحريمُ الكلّي للمخدّرات يُعدّ أساسًا وقائيًا راسخًا، يُغلق أبواب التجربة الأولى، ويقطع الطريق على نشوء عادة التعاطي من بدايتها.

٢. الوقاية من المخدّرات في التصوّر النبوي تنطلق من الداخل عبر بناء الوازع الإيماني وتزكية الضمير، وهو ما يُعدّ أمتن من أي ردع خارجي.

٣. البيئة الاجتماعية السليمة تشكّل خطّ الدفاع الأول ضدّ المخدّرات، إذ إنّ الصحبة الصالحة والمناخ الأسري والمدرسي المتماسك تقلّل احتمالات التعاطي والانتكاس.

٤. العلاج النبوي للمخدّرات قائمٌ على الأمل لا الوصم، فيُيسّر طريق التوبة والعودة ويزيل الخوف من الاعتراف وطلب العلاج.

٥. ستر المتعاطين بالمخدّرات والحفاظ على سرّيتهم أثناء العلاج يُشجّعهم على الإقلاع الطوعي، ويمنع تفاقم الأضرار الاجتماعية والنفسية.

(١) مسند أحمد (١٨٤٥٥) بإسنادٍ حسن.

٦. الرّفق والتّدرّج في التّعامل مع متعاطي المخدّرات منهجٌ إصلاحيّ فعّال يرفع نسب الاستجابة للعلاج ويقلّل من حالات الانتكاس.

٧. علاج المخدّرات في المنظور النبوي تكامليّ؛ يجمع بين التزكية الروحية والعلاج السلوكي والدعم الطبّي لإزالة السموم وإعادة التأهيل.

٨. المنظومة الشرعية تجاه المخدّرات تجمع بين خفض الطلب عبر التربية والتوعية، وخفض العرض عبر المنع والتجريم والتطويق الشرعي والقانوني.

٩. مقاصد الشريعة في حفظ العقل والنفس والدين تُعطي مكافحة المخدّرات مشروعيتها وتربط الوقاية بالعلاج ضمن إطارٍ قيميٍّ متكامل.

١٠. نتائج البحث أظهرت توافقًا مع الدّراسات الحديثة التي أثبتت أنّ البيئة والرفقة من أبرز محدّدات انتشار المخدّرات بين الشباب.

أهم المصادر والمراجع

١. ابن حنبل. (٢٠٠١م). المسند. (ط١). شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون (تحقيق). بيروت: مؤسسة الرسالة. في ٥٠ جزء.

٢. ابن مختار: د. أحمد مختار عبد الحميد. (٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة. (ط١). بيروت: عالم الكتب. في ٤ مجلدات.

٣. ابن منظور: محمد مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ). (د.ت). لسان العرب. (ط١). بيروت: دار صادر. في ١٥ جزءاً.

٤. أبو داود السِّجِسْتانيّ: سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥هـ). (٢٠٠٩م). السُّنن. (ط١). شعَيب الأرنـؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي (تحقيق). دمشق: دار الرسالة العالمية. في ٧ أجزاء.

٥. البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. (ط١). جماعة من العلماء (تحقيق). بيروت: دار طوق النجاة. في ٩ أجزاء.

٦. الترمذيّ: محمد بن عيسى بن سَوْرة، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ). (١٩٩٨م). الجامع الكبير. (د.ط). الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف (تحقيق). بيروت: دار الغرب الإسلامي. في ٦ أجزء.

٧. التويجري: محمد بن إبراهيم. (٢٠٠٩م). موسوعة الفقه الإسلامي. بيت الأفكار الدولية، في ٥ مجلدات.

٨. الزيّات، عبد القادر، النجّار: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. (د.ت). المعجم الوسيط. القاهرة: مجمع اللغة العربية. إستانبول: درا الدعوة. في مجلدين.

٩. ساجت: د. خالد حنتوش ساجت. ستراتيجيّة وطنيّة لمكافحة المخدِّرات في العراق. (٢٠٢٥م). مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. وتضمّن ٣٠ صفحة.

١٠. المرعي: د. ضياء عبد اللطيف المرعي. المخدِّرات والمؤثِّرات العقليّة دراسة فقهية

تحليلية. (٢٠٢٥م). مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، في ٣٧ صفحة.

١١. مسلم بن الحجاج، القشيريّ، النيسابوريّ، أبو الحسين (ت ٢٦١هـ). صحيح مسلم. (د.ط). محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨هـ) (تحقيق). بيروت: دار إحياء التراث العربي. في ٥ أجزاء.